

# مقرر: نظرية المعرفة

د. جمال نور الدين إدريس

## العقل:

● **العقل:** في اللغة: يقول ابن فارس: (عَقَلَ) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَّرَدٌ، يَدُلُّ عُظُمُهُ عَلَى حُبْسَةٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَا يُقَارِبُ الْحُبْسَةَ، مِنْ ذَلِكَ الْعَقْلُ، وَهُوَ الْحَابِسُ عَنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ

● **قال في تهذيب اللغة:** (سُمِّيَ عقلُ الإنسان وهو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان عقلاً لأنه يعقله ، أي يمنع من التورط في الهلكة ، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه).

● **العقل في الاصطلاح:** وإذا كان عِقال البعير شيئاً مادياً ؛  
فإنّ عقل الإنسان غير مُحَسّ ولذا عرفوه بأنه: ملكة ،  
أو قوة ، أو نور.

● **قال المحاسبي:** ( إنّه غريزة جعلها الله في الممتحنين  
من عباده لا يوصف بجسم ولا لون ، ولا يُعرف إلاّ  
بفعاله).

● والذين عرفوا العقل بأنه جوهر –من العلماء المسلمين-  
لم يقصدوا بجوهريته مفارقتها للمادة وقيامه - مستقلاً-

- بنفسه كالعقل الفعال في الفلسفة اليونانية ؛ وإنما أرادوا بيان اختلاف فعله عن فعل الأعضاء المادية في الإنسان كالسمع والبصر والحس، وقصدوا من تجرّده عن المادة سبق مبادئه المدركات الحسية ولهذا فإنهم يجعلون فعله مقترناً بالمادة.
- **قال الجرجاني:** ( إنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله – جوهر روحاني خلقه الله متعلقاً بالبدن).
- وتحدّث القرآن عن العقل بهذا المعنى مركزاً قيمته في أفعاله.

- **العقل في الفلسفة:** وفدت الفلسفة اليونانية ومعها مصطلحاتها على البيئة الإسلامية من خارجها .
- **فالعقل في الفلسفة اليونانية ينقسم إلى نوعين:**
  - ١- عقل في الإنسان بمثابة العرض القائم به.
  - ٢- وعقل آخر مفارق للمادة وهو جوهر قائم بنفسه.

- والعقل الأول صنفان:
- ١- عقل بالملكة: وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات.
- ٢- وعقل مستفاد: حينما تكون النظريات مخترنة عند العقل بالملكة، حاضرة لا تغيب عنه.
- وهذا الصنف (المستفاد) هو الذي يطلق عليه العرب لفظة: العقل.
- أمّا الصنف الأوّل (بالملكة) فإنّه المقصود من قولهم عنه: إنه غريزة أو نور أو علوم أوليّة.

● وبالصنف الثاني ( **المستفاد** ) ورد الكتاب العزيز في مثل قوله تعالى: ( **يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)** ) البقرة.

● **قال الراغب الأصفهاني-** بعد أن قسم العقل إلى غريزي ومكتسب: ( وكل موضع ذم الله الكفار فيه بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول).

● **أما النوع الثاني (في اليونانية):** فهو **العقل الفعال**: وهو عقل مفارق باق ،منه تفيض الصور ويستمد العقل الإنساني المعرفة منه، وقد يتحد العقل الإنساني به **بسمي حينئذ عقلاً قدسياً**

- وفوق العقل الفعال عقول أخرى هي في الأغلب عشرة.
- وقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين إيجاد محل لهذا العقل (الفعال) في الثقافة الإسلامية فكان الفارابي يسميه : الروح الأمين وروح القدس ، ويرى الغزالي أن النص ورد به كما في قوله تعالى: (( **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)** )) النجم. وهو يجعل المَلَك عقلاً بحكم تجرده عن المادة ومنه تفيض المعرفة على عقل الرسول [?]
- ومن أخذ منهم بالعقول المفارقة الأخرى قالوا: إنَّها

- الملائكة والأفلاك التي ذكرت في الفلسفة اليونانية على أنها مَقَارُ هذه العقول ويسميتها **الفارابي** : الملائكة الأعلى.
- وقد رفض علماء السلف هذا التوفيق **كابن تيمية** الذي كشف عن هذا الخلط بين نظرية العقل لدى اليونان وما جاء به الشرع في هذا الشأن وبيّن أخفاق هذا التوفيق من خلال:

- ١- أن لفظ العقل عند المسلمين قد يُراد به الغريزة التي عَقَلَ بها الإنسان أما ، أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه وليس هذا مطابقاً للغة الرسول والقرآن.
- ٢- ثم ترجمة العقول المفارقة بالملائكة تفسير خاطئ لأن اليونان وثنئون عبدة كواكب ولا علم لهم بالملائكة

- ٣- والعقول المجردة - عند التحقيق - هي أشياء ذهنية ليس لها وجود في الأعيان بل هي كالمُثل الأفلاطونية.
- إنّ أول مَنْ قال بالعقل الفعال هو: **أرسطو** وجاءت فكرته عنه:
- غامضة إذ لم يحدد له خصائص ، كما جعله مفارقاً للمادة وهو يناقض قوله في النفس حيث لا يرى لها وجوداً مباحيناً للمادة ؛ ولهذا اضطرب شراح فلسفته من بعده في القول به فاعتبره **الإسكندر الأفروديسي** : الله ، بينما اعتبره **ثامسطيوس** قوة تجريدية في العقل البشري ، وبهذا قال **ابن رشد** من المسلمين.

## ● العقل عند ممثلي الفلسفة الإسلامية ( علماء أصول الفقه ):

- ١- فقد عرّفوا العقل بأنّه : ( قوة غريزية للنفس تتمكن بها من إدراك الحقائق والتمييز بين الأمور ).
- ٢- كما عرّفوه بأنّه : ( العلم الضروري الذي يقع ابتداءً ويعمّ العقلاء ). فالعقل عندهم قوّة مدركة تتمثل في علوم ضرورية وهذا هو العقل الذي أنيط به التّكليف في الشريعة الإسلامية بحيث يزول التّكليف حال زواله.

● **العقل في الفلسفة الحديثة:** تعددت تعريفات العقل في الفلسفة الحديثة وهي في مجملها تتناول ظاهرة الوعي الإنساني ، هذه الظاهرة المسماة بالعقل يعرفها العقليون بأنها: (مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة ، المتميزة بضرورتها ، وكليتها ، واستقلالها وهي الفارقة كما يرى -الفيلسوف لايبنتز- بين الإنسان والحيوان).

## ● يقسم ( لالاند ) العقل إلى نوعين :

● ١ - العقل المُنشِيء، أو المَكُون.

● ٢ - العقل المُنشَأ، أو المَتَكُون.

● والأول قوة فطرية تقوم بتكوين الثاني وهي ثابتة والثاني مكتسب يتكون بعد إعداد طويل ولا يخرج هذا عن تقسيم العلماء المسلمين السابق إلى : غريزي ومكتسب

● **المذهب العقلي :** لهذا الإطلاق مقاصد شتى بحسب البيئة الثقافية التي يشيع فيها:

- ١- ففي اللاهوت المسيحي أطلق مقابلاً لمذهب القول بخوارق العادات والاتجاه هذا هو الذي سار عليه اسبينوزا وشتراوس وآخرون.
- ٢- أمّا عند المسلمين فإنّه يُطلق على الاتجاهات التي قدمت العقل على النقل مثل المعتزلة والفلاسفة والمدرسة العقلية في العصر الحاضر في مقابل من يسمون ( النصيين ) أو ( النقليين ) الذين يتمثلون في السلف وأهل السُّنة.

● والعقل لدى هؤلاء ليس العقل المجرد وإنما هو العقل المكتسب أو المتكون حسب تسمية ( **لاند** ) وكان أعظم مكوناته لديهم النظريات العلمية والمكتشفات التجريبية التي جاءت بها الثقافة الغربية قديماً وحديثاً ؛ دليل ذلك أن النصيين المقابلين لهؤلاء يعتبرون هذه المبادئ في مجال العقيدة ويقررون أن هذه الفطرة من الله وأنّ الوحي من الله فلا يمكن أن يتناقضا كما قرر ذلك ابن تيمية في كتابه ( **درء التعارض** ).

- ٣- أمّا في نظرية المعرفة في الفلسفة المعاصرة ؛ فإنه يطلق في مقابل المذهب التجريبي الحسي ؛ حيث يردّ المعارف كلّها إلى مباديء العقل القبلية، وعلى هذا فإنّ مصدرية العقل للمعرفة تعني:
- ١- القول بهذه المباديء الأولية.
- ٢- وردّ المعرفة الإنسانية إلى هذه الأوليات العقلية: تقوم المعرفة البشرية على التّصور والتّصديق:

- ١- **التّصور**: هو الإدراك البسيط لمعاني الأشياء :  
كتصور معني الحرارة والنور ، والصوت.
- **التّصديق**: هو الإدراك المنطوي على حكم: أي: هو الحكم بنسبة بين طرفين ، كالحكم بأن النار محرقة.
- ويتمثّل المذهب العقلي لدى القائلين به برّد المعرفة إلى أصولها الأولى سواءً كانت تصورات كما يقول بذلك بعضهم أو تصديقات كما يقول الآخرون.

- هذا وتكمن القيمة الموضوعية للتصور في كون العلم يقوم على مفرداته ، وأما التصديق فهو يملك خاصية الكشف عن الواقع الموضوعي للتصور خارج الإدراك.
- **أولاً: التصورات:** تنقسم التّصورات إلى قسمين:
- **أولهما:** الإدراكات البسيطة المفردة – كالمعاني العامة: البياض ، والسواد ، والحرارة.
- **وثانيهما:** التصورات المركبة من التصورات المفردة – كتصور جبل من الذهب فهو مركب من تصورين: الجبل ، والذهب.

• ومن أبرز النظريات العقلية التي تناولت التصورات من حيث مصدرها: نظرية التذكر عند أفلاطون والنظرية الديكارتية وسنكتفي بالحديث عن الأولى:

• **نظرية التذكر عند أفلاطون:** هذه النظرية تقوم على أساس أن التصورات كامنة في النفس البشرية وأنها تنبعث منها تبعاً لمصدرها النفس ، وهذه النظرية قائمة على فلسفة أفلاطون في النفس وأصلها : أي من خلال نظريته في الوجود فيما يُسمّى بعالم المُثُل.

حيث يرى **أفلاطون** أن النفس كانت مجردة مستقلة عن البدن متصلة بالحقائق المجردة في عالم المثل ثم هبطت إلى العالم المادي عالم الظلال وارتبطت بالمادة عن طريق اتصالها بالبدن فأثر عليها فنسيته ما عرفته عندما كانت مجردة والنفس عنده تطل من خلال البدن عن طريق الحواس على عالم الأشياء فتتذكر تصوراتها السابقة لعالم المثل ، فالمعرفة -لديه- تذكر والجهل نسيان والإحساسات مجرد منبهات للنفس إلى ما هو مستقر فيها من معرفة لذلك العالم تعود إلى تعقلها مرة أخرى.

## ● الرد على نظرية التذكر الأفلاطونية:

- ١- رد تلميذه أرسطو: وأول مَنْ نقضها تلميذه أرسطو الذي يرى خلافاً لأستاذه أن المعرفة تبدأ من خلال الإحساس بشيء حاضر في الحال يُوصف بأنه جزئي ، وتكرر هذا الإحساس يُولد التصورات الكلية فالجزئي وحده ذو الوجود الحقيقي وليس شبحاً للكلّي – كما زعم أفلاطون – والكلّي لا وجود له إلا في الذهن وإن كان هو موضوع العلم.

## ● ٢- رد العلماء المسلمين وفلاسفة العصر العباسي:

● ابن سينا : الذي يرى أنه لا يَوجد كلي عام في الوجود الخارجي ، بل وجود الكلي - عاماً - إنما هو في العقل.

● ابن تيمية: حيث بيّن فساد التفريق بين الماهية ووجودها وأن اعتبار الماهية ذات ثبات في الخارج ، غير وجودها الشخصي باطل ، إذ(التحقيق أن الماهية شيء ثابت في الذهن لا في الخارج عن الذهن والمقدر

● في الأذهان قد يكون أوسع من الموجود في الأعيان وهو موجود وثابت في الذهن وليس هو في نفس الأمر لا موجوداً ولا ثابتاً فالتفريق بين الوجود والثبوت مع دعوى أن كليهما في الخارج غلط عظيم وكذلك التفريق بين الوجود والماهية مع دعوى أن كليهما في الخارج).

● **الرازي:** يقول في ( نهاية العقول): (يمتنع أن يكون الإنسان الكلي موجوداً في الأعيان لأن الإنسان مشترك فيه بين أشخاص ، فلو كان موجوداً في الخارج لكان الشيء الواحد موصوفاً بالصفات المتضادة).

- وعليه فهناك شيئان ، سواء سميا وجودين أو ماهيتين:
- أحدهما في الذهن
- والآخر في الخارج
- فوجود الشيء في الخارج هو عين ماهيته في الخارج وقد ذكر ابن تيمية اتفاق الأئمة والنظار على ذلك.
- **أسباب رد علماء المسلمين لهذه النظرية:** فبالإضافة لمخالفتها للعقل ؛ فهي مخالفة للعقيدة الإسلامية منهجاً وموضوعاً:

- ١- فالمنهج الإسلامي يقضي بأن العوالم الغيبية علمها يتلقاه من الوحي وليس لأفلاطون دليل نقلي عليها .
- ٢- أنها تتضمن ما يشوب التوحيد إذ اعتبر أفلاطون عالم المثل عالماً أزلياً خالداً لا يتغير .
- ولهذا حاول فلاسفة التوفيق تأويلها بما يتماشى مع الدين ، فالفارابي يؤول كلام أفلاطون بأن مقصوده أنها موجودة في علم الله لا على أنها قائمة في مكان آخر خارجة عن هذا العالم ، وهذا ما قال به الفيلسوف المسيحي ( **بيير أبيلارد** ) الذي قرر أن الكليات العامة الموجودة قبل وجود أعيانها هي أفكار الله الخالقة).

● ٣- ومن وجوه الخطأ فيها كذلك : أن مباحثها في المعرفة والمنطق تختلط لديهم بالوجود ومباحثه وهنا تكمن الخطورة ؛ فقد يقع في الذهن البشري تصورات ليس لها وجود حقيقي في عالم الوجود الواقعي ؛ فليس هنالك تلازم بين الوجود الذهني والوجود الموضوعي المستقل ، فإذا حُكم بأن جميع التصورات الذهنية لها وجود خارج الذهن -حتماً- فإنه يعني بناء الوجود على أساس من الوهم حيث تحال التصورات إلى موجودات موضوعية.

- **ثانياً: التصديق:** رفض كثير من الفلاسفة الارتكاز على التصورات في بحث المعرفة ؛ لأنّ التصور:
- ١- إمّا أن ينطوي على حكم فيكون تصديقاً ويستحق أن يكون فكراً.
- ٢- وإمّا أن يكون مجرداً من الحكم فلا يعدو أن يكون خاطراً مجرداً من جنس الوسواس لا من جنس العلم.
- وهذا هو ما اتجهت إليه المدرسة المنطقية النفسية بزعامة: **فيكتور كوزان**.

- **وقيمة التصورات عند العقليين لا تتجاوز كونها لمادة التي يصوغ منها التصديق لبناته كما أفضى بذلك كانط ولهذا اعتبروا التصديق مصدر كل معرفة فبحثوا في أصله وأوليائه .**
- **والتصور لدى المناطقة القدماء يتجاوز المفردات البسيطة التي يطلقون عليه : التصور الناقص ، إلى ما يسمونه التصور التام كتصور الإنسان الذي يتركب من : الحيوانية ، والنطق ، لكن مخالفهم يعتبرون هذا تصديقاً لا تصوراً .**

وطريق هذا التصور ( التام ) عند الأرسطيين وتابعيهم هو الحد فليست فطرية ، بل هم يقرون بالتصورات البسيطة ولا يعتبرون لها قيمة في المعرفة ويسمونها (اللامعرفات) وهنا يكون الخلاف بينهم في الاصطلاح.

● **أنواع التصديقات:** يرى الفلاسفة العقليون – بدءاً- أنه ليس كل تصديق أولياً ، بل إن غالب التصديقات ليست أولية إذ هي:

● ١- **إما ضرورية:** وهي التي يسميها المنطقة: مصادر المعرفة اليقينية – عدا الأوليات- ومن أشهر أنواعها: الحسيات والمجربات، كقولنا: الثلج بارد والخمر مسكر.

● ٢- **وإما نظرية:** وهي التّصديقات التي لا يمكن للنفس أن تؤمن بصحتها إلا إذا اعتمدت على تصديقات سابقة عليها تمتاز باليقين والوضوح وهي الأولية ، من خلال استلال عقلي.

- **المباديء الأولى:** وهي التي فطر عليه الإنسان تتمثل في تلك الأحكام الكلية مثل:
- الكل أعظم من الجزء. الأشياء المساوية للشيء الواحد متساوية.
- وقد حاول بعض الفلاسفة حصرها بشكل كلي فجعلوها أربعة تنبثق منها أو تقوم عليها المبادئ الأخرى وهي:
- **١- مبدأ الهوية:** الذي قضي بأن ما هو هو وما ليس هو ليس هو أي: أي أن الشيء لا يكون غيره.

● ٢- مبدأ عدم التناقض: الذي يقضي بأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون ، وأن لا يكون معاً، وهو أهم المبادئ وجوهر الفكر المنطقي.

● ٣- مبدأ نفي الثالث ( الوسط المستبعد): الذي يقضي بأن كل شيء هو إمّا ( أ ) أو لا ( أ ) ولا وسط بينهما ، فالعدد زوج أو فرد ولا يمكن أن يكون إلا أحدهما. والمبدأان الثاني والثالث مرتبطان ؛ لأن مقتضى الثاني أن النقيضين لا يكونان معاً ، ومقتضى الثالث أنهما لا يرتفعان معاً.

- **٤- مبدأ العلية:** ومقتضاه أنه لا يمكن أن يحدث شيء دون أن يكون هنالك سبب، أو علة محدودة تصلح تفسيراً لحدوثه.
- فالعقليون يرون أنّ مبادئ العقل الأوليّة هي مصدر المعرفة البشريّة التي تقوم عليها في كلّ مجالاتها : الطبيعة والميتافيزيقا وأنّها تمثل جوهر العقل التي إذا فقدتها فقد قيمته. ومصدرية العقل للمعرفة – عند العقليّين- تتمثل في صورتين:

- **الصورة الأولى:** هي التي تستغني بالعقل في تحصيل المعرفة عن أي شيء غيره من خلال تعقل عالم المثل عند أفلاطون كما أوضح ذلك في نظرية الكهف .
- كما أن هذه الصورة تتجلى في المعرفة التجريدية التي تبحث عن الحقيقة من خلال تركيب القضايا العقلية وهي التي تسمى في الفلسفة الغربية المعاصرة بالمعرفة **الترانسندنتالية** أي: المتعالية على الحس والتجربة.

- وقد تمثلت بالمنطق الصوري قديماً ، ولدى ديكارت الذي بحث عن المعرفة اليقينية من خلال الفكر ، والذي توصل إلى اليقين فيما عرف عنده بالشك المنهجي أو الكوجيتو الديكارتي .
- **الصورة الثانية:** هي التي يجعل أصحابها للحس أثراً في المعرفة من حيث أنه يقدم المادة المتمثلة في المدركات الحسية التي تقوم عليها المعرفة من خلال العقل التي لها الفاعلية الكبرى في المعرفة، ومن هؤلاء : فيلهلم ليبنتز ، وجون لوك .

● والتجريبون حينما ينتقدون المذهب العقلي إنما ينظرون إليه من خلال الصورة الأولى ومن هنا يرى (لوك) أن على ديكارت أن يغمض عينيه ويسد أذنيه ، ويقفل جميع منافذ الحس لديه وهو يبحث عن المعرفة لكي يتسق مع مذهبه العقلي.

● ومنهج الإسلام في المعرفة يخالف المذهب العقلي المتعالي في المعرفة حيث أعطى الإسلام مقاماً أساسياً للإدراكات الحسية في عملية المعرفة نرى ذلك كما

● في قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) النحل.

● **الفطرة في الإسلام وعلاقتها بالأوليات العقلية :**

● قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) الروم .

● وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيُنَصْرَانِهِ أَوْ يُمَجْسَانِهِ كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَذَعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} متفق عليه.

● وعلى ضوء هذين النصين بحث العلماء في معنى الفطرة وصلتها بالمبادئ القبلية.

● **الفطرة : فُسِرَتْ الفطرة بتفسيرات كثيرة منها:**

- ١- هي الإلهام للإيمان والكفر، وهذا عند الذين ينكرون فطرية معرفة الله
- ٢- **وقيل هي المعرفة:** أي معرفة الله والإقرار بربوبيته.
- ٣- **وقيل إنها الدين الذي أرسل الله به رسوله ﷺ وهذا** مذهب السلف الذين قالوا: الفطرة هي الإسلام.
- **أما علاقتها بالمبادئ القبلية:**
- **فإما أن يقال :** إنّ هذه الفطرة الدينية تمثل جزءاً من هذه المبادئ والأفكار الأولية.

**أو أنّ هذه المبادئ:** هي قاعدتها التي تقوم عليها بحكم أنها حق وما تؤدي إليه حق. فالمعرفة الدينية فطرية ضرورية على الحاليين سواء قيل إنها فطرية بنفسها أو قيل إنها تحصل بأسباب كالأدلة التي تنتظم النفس.

• ولا يعني هذا أن المولى قد فطر الناس على الإسلام أنّ الإسلام يتمثل في عقولهم بالفعل خصوصاً أنّ لوثات والوثنية والجاهلية تغشيها حتى يخفت نورها ؛ ولكنها مع ذلك تبقى شعوراً عاماً في نفس الإنسان – البعيد عن هدى الله- حتى يأذن الله له بسبب يجلو هذه الوثنيات .

- هذا والنزعة الفطرية الدينية أبعد مدى من الغريزة الدينية التي يتكلم عنها علماء الاجتماع ؛ لأن هذه الغريزة لا تتجاوز حسب قولهم الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة ولهذا كان سبيل إرواء هذه الغريزة هو اعتناق الديانات ، أما الفطرة فإنه لا يمكن الوفاء بحقها إلا بالدين الحق ؛ ولهذا اعتبر الإسلام اعتناق الأديان الأخرى ذات الأصل السماوي المبدل : اليهودية والنصرانية انحرافاً عن الفطرة: ( فأبواه يهودانه أو ينصرانه ) وهذا ما يشهد به الواقع فإن كثيراً ممن كانوا على اليهودية والنصرانية وأسلموا بينوا أنهم

لم يجدوا الهدى والطمأنينة إلا في الإسلام كما أبان ذلك الفنان الإنجليزي ( **كات ستيفنز** ) أو يوسف إسلام.

● والدين الإسلامي يتحد فيه الدين الوضعي والدين العقلي معاً ، حسب تقسيم ( **كانت** ) الذي قسم الدين إلى قسمين: **١- وضعي**: وهو الموحى به الذي يقوم على عقيدة أبلغت لنا.

● **٢- عقلي**: وهو القائم على الصدق الكلي الذي تتفق فيه جميع العقول ؛ لأنهما جميعاً من الله وما كان منه لا يتناقض.

● وعلى عكس ما رسم ( كانت ) من العلاقة بينهما حيث جعل الأصل هو الدين العقلي ومن ثم ينبغي أن لا يقبل من تعاليم الدين الوضعي إلا ما اتفق مع الأول ، أما منهج الإسلام ففيه الدين الوضعي الموحى به من الله هو الميزان الحق خلافاً لدين العقل فإنه غير مضمون الصدق وإن قام على أصل مضمون الصدق هو الفطرة أو المبادئ القبلية ولهذا أجمع علماء الإسلام على أن المعتبر هو الإسلام والإيمان الشرعيان دون الفطريين.

● وسبب ذلك أن حركة العقل وهو يبني دينه على تلك المبادئ لا تسلم من العوارض والمؤثرات التي تنحرف بها عن الحق وهذا ما يشهد به واقع الفلسفة يقول **ديكارت:** ( لا يكفي أن يكون لدينا عقل سليم بل ينبغي أن نستخدمه استخداماً سليماً).

● **أسلوب العقل في التوصل إلى المعرفة:** أشهر من تناول هذه المسألة:

- **أبو العقلين ديكارت :** الذي يرى أن جميع أفعال العقل التي نستطيع أن نصل بها إلى معرفة الأشياء تعود إلى فعلين اثنين هما: الحدس والاستنباط.
- **الحدس:** وهو نور فطري غريزي يمكن العقل من إدراك فكرة ما دفعة واحدة وليس على التعاقب فهو إدراك مباشر غير مسبوق بمقدمات تسلم إليه.

● فالحدس عنده هو الفكرة المتينة التي تقوم في ذهن خالص منتبه وهو إدراك يقيني لا مرية فيه ويستشهد بالعلوم الرياضية وكيف يظهر الاشتغال بها أن هذا الحدس تصور يقيني للذهن يقظ صاف هو يتولد فقط من نور العقل الطبيعي.

● ويمثل **ديكارت** للحدس العقلي بإدراك الإنسان للمثلث بأنه محدود بثلاثة أضلاع وأن الكرة محدودة بسطح واحد فهذه الأمور ليست من المفاهيم العامة التي نستخلصها بالتفكير ومقارنة المعطيات الحسيّة.

- **الاستنباط:** وهو فعل ذهني نستخلص بواسطته من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنه.
- والاستنباط الديكارتي مخالف للقياس الأرسطي لأنه ينتقده من جانبين:
- ١- أنه قائم في الأغلب على قواعد يقينية ولكن منها ماليس يقينياً.
- ٢- وهو وإن أوصل إلى نتائج يقينية إلا أنه لا يكشف لنا حقائق جديدة.

ذ

- والاستنباط الديكارتي الذي حاول أن يتجاوز به المنطق الأرسطي يتمثل في حدوس متتالية؛ فلكي نعرف الأشياء المركبة ينبغي أن ننطلق من أصولها البسيطة التي ندركها بالحدس فنستنتج من ثم شيئاً مجهولاً من شيء معلوم ؛ وبما أن الشيء يقيني بحكم إدراكي له بالحدس ، فالنتيجة اللازمة عنه يقينية كذلك.
- أما ( لينتز ) : فيقسم المعرفة إلى ثلاثة أنماط :

- ١- **يقين حدسي**: موضوعه الحقائق الفطرية وبه نعرف وجودنا.
- ٢- **اليقين البرهاني**: يرجع إلى اليقين الحدسي ؛ وذلك باستنباط نتيجة قضية من حقيقة حدسيّة، وبه نعرف الله.
- ٣- **اليقين الحسي**: يتناول الأشياء التي تأتي بها الحواس ومعيار صدق المعرفة الحسيّة هو الربط بين الظواهر عن طريق العقل وهذا يعني أن المعرفة الحسيّة تستمد يقينها من المعرفة العقلية ، وباليقين الحسي نعرف الأشياء الأخرى.

- والتقسيم الثلاثي نجده عند اسبينوزا: الذي جعل المعرفة على ثلاث درجات هي من الأدنى إلى الأعلى:
- ١- تجريبية : في المجال المادي.
- ٢- العقلية .
- ٣- الحدسية : التي موضوعها الوجود الأزلي.

● **وقد سبقوا إلى هذا المنهج ، فأرسطو:** الذي قيل فيه إنه زعيم المذهب الحسيّ ما كان يتجاوز بالحواس كونها الوسائل التي تنقل المادّة الخام للمعرفة على العقل ثمّ تتسلسل المعرفة حتّى تصل إلى ما يطلق عليه اسم المبادئ الأولى وهي عنده تعرف بالحدس، أو الإدراك المباشر.

● **الفارابي وابن سينا:** وسار على هذا الخط فلاسفة العصر العباسي كالفارابي وابن سينا فالمعرفة عندهما درجتان:

- ١- **حسيّة** : تتمثل في جمع الجزئيات المحسوسة وتجريدها من المادة.
- ٢- **ومعرفة عقلية** : حينما تتحول الصور الحسية المجردة من المادة كليات من خلال المبادئ التي يفيضها العقل الفعال على العقل بالقوة ليصبح عقلاً بالفعل.
- فمرد المعرفة الصّحيحة لديهم إلى المبادئ الأولى التي تشرق من واهب الصور على العقول البشرية التي كانت عقولاً بالقوة فجعلها عقولاً بالفعل.

• وهذا اللون من العلاقة بين المعاني الحسيّة والمبادئ القبلية هو ما يُسمّى بنظرية الانتزاع التي قال بها هذان الفيلسوفان **وغيرهما**: **كابن طفيل وابن رشد وابن خلدون**، وغيرهم.

• **وخلصتها**: أن الذهن ينتزع من المعاني التي ندركها بحواسنا، والتي تشكل تصورات بسيطة التّصورات الثانوية كالعلة والمعلول والجوهر والعرض ، ويتم هذا الانتزاع من خلال ما في العقل من مبادئ ضروريّة كليّة تظهر فاعليتها في مثل التّصورات المحسوسة.

- هذا في المجال الحسّي، أمّا في مجال المعرفة التجريديّة فقد سبقهم المتكلمون إلى منهجية البحث فيه :
- فكافة المتكلمين من **المعتزلة والأشاعرة** قالوا: إنّ معرفة الله تحصل بالنّظر وهو ما قال به بعد ذلك **ليبنتز**.
- **وقال آخرون:** إنّ معرفة الله تتم بالفطرة التي أُودِعها الإنسان وهو ما قال به **اسبينوزا**.

- **وقال السلف:** إنها تحصل بالفطرة – غالباً ، ولكن قد يُوجد من يحتاج إلى المعرفة العقلية.
- وهكذا يتبين أن العقليين يقضون بأن العلم بالأشياء لا يتم إلا باستنباط العقل أحكامها من المبادئ القبلية.